مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مجلة اسلامية . ثقافية . تصدر سنويا

العدد الثالث
1986

- صدى الأدب العربي في الدعوة الإسلامية
- مخطوطات ليبية
- وصول الإسلام إلى ساحل مليبار
- التيارات الفلسفية وعلاقتها بالصراع على الحكم

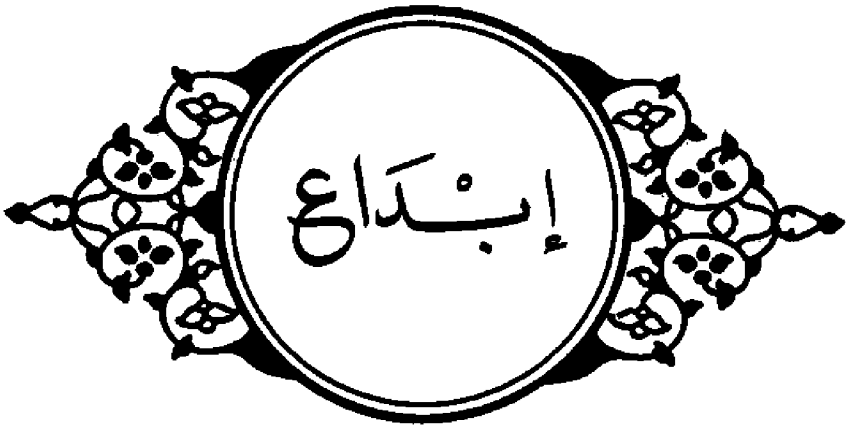

الدكتور سعدون السويح

لفظة « إبداع » مصدر ، والفعلُ « أبدع » ، وأصله الثلاثي « بَدَعَ » وفي اللسان : بدع الشيء يَبْدَعُه بَدْعاً ، وابتدعه : أنشأه وبدأه ، ومعظم معاني هذا الفعل تدور حول الخلق والإنشاء والإبتكار ، وفي التنزيل ﴿قُل ما ما كنتُ بِدْعاً من الرسُل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إنْ أتبع إلاّ ما يوحي إليّ وما أنا إلا نذير مبين ﴾ (الآية 9 ، سورة الأحقاف) ، أي ما كنت أوّل من أرسل ، فقد أرسل قبلي كثير من الرسل. ولفظة «البِدْعة»: الحَدَثُ وما ابتدع من الدين بعد الإكمال. وفي حديث عمر رضي الله عنه في قيام رمضان « نِعمَتِ البدْعة هذه » . وينسب ابن منظور إلى ابن الأثير قوله : « البدعة بدعتان : بدعةُ هدى وبدعة ضلال ، فما كان في خلاف ما أمر الله به ورسولُه ، ﷺ ، فهو في حيز الذم والإنكار ، وما كان تحت عموم ما ندب الله إليه وحض عليه أو رسولُه ، فهو في حيز المدح ، وما لم يكن له مثال موجود كنوع من الجود والسخاء وفعل المعروف فهو من الأفعال المحمودة . . »[1] .

وفي اللسان أيضاً : أبدع وابتدع وتبدّع : أتى ببدعة ، قال الله تعالى ﴿ . . . ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله . . . ﴾ (من الآية 27 ، سورة الحديد) . والبديع : المُحدَث العجيب . والبديع : المبدع ، والبديع من أسماء الله تعالى لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها ، ومنه قوله تعالى : ﴿ بديع السموات

(1) لسان العرب لابن منظور ـ جمال الدين محمد ـ المجلّد الثامن دار صادر ـ بيروت . (أنظر مادة بَدَعَ) .

والأرض أنّى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كلّ شيء وهو بكلّ شيء عليم ﴾ (الآية 101 ، سورة الأنعام) .

و« بديع » مشتق من « بَدَعَ » لا من « أبدع » ، « وأبدع » أكثر في الكلام من «بدع » ، ولو استعمل « بَدَعَ » لم يكن خطأً ، فبديع « فعيل » بمعنى « فاعل » مثل « قدير » بمعنى « قادر »[2]

والبديع اصطلاحٌ في البلاغة العربية ، وهو العلم الذي يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ، وقد اصطلح على تقسيم المحسنات البديعية إلى قسمين : قسم يرتبط باللفظ ، ويبحث في المحسنات اللفظية ، وقسم يرتبط بالمعنى ويبحث في المحسنات المعنوية[3] .

يتضح لنا في ضوء ما سبق سرده أنّ الاستخدام الحديث للفظة « إبداع » بمعنى « الخلق » أو « الابتكار » ذو صلة وثيقة بالمعاني المعجمية الأساسية للفعلين المجرّد والمزيد « بدع » و« أبدع » ، فالإبداع يعني في المصطلح الحديث « القدرة على ابتكار حلول جديدة لمشكلة ما ، أو أساليب جديدة للتعبير الفني . . »[4] . وكثيراً ما يوصف الشاعر أو الأديب بأنّه « شاعر مبدع » أو « أديب مبدع » . والشاعر أو الأديب أو الكاتب المبدع هو ذلك الذي يختط لنفسه في كتابته أو شعره خطاً أو لوناً خاصاً من ألوان التعبير يعرف به دون سواه . ومفهوم الإبداع بهذا المعنى يقودنا إلى الحديث عن قضية « التفرد » و« الخصوصية » في الأدب والفكر . إذ لا شكّ أنّه ما من أديب أو شاعر أو مفكرٍ استطاع أن يترك أثره وبصماته على تاريخنا الفكري إلاّ وله نصيبٌ من التفرد والخصوصية ، فأبو الطيب المتنبي مثلاً لم يكن نسخة مكررة من أبي تمام أو امرىء القيس ، أو غيرهما من فحول الشعراء الذين سبقوه ، وإنّما كان شاعراً متميزاً له صوته الخاص وطابعه الخاص ، مما جعل الدهر يروي قصائده على مرّ العصور .

غير أنَّ قضية التفرد والخصوصية يجب أن ينظر إليها على أنّها مسألة نسبية ، فالكاتب أو الشاعر أو الأديب مهما تفرّد أو أبدع لا يمكن أن يكون مجتث الجذور ، فهو

---

(2) نفس المرجع السابق (أنظر نفس المادة) .

(3) الموسوعة العربية الميسرّة ـ دار الشعب ـ الطبعة الثانية ـ 1972 (أنظر مادة بديع) .

(4) نفس المرجع السابق (أنظر مادة إبداع) .

يأخذ عن سابقيه ويؤثر في لاحقيه . إنّ المبدع لا ينطلق من فراغ ، وإلّا كان كمن يقيم بناءه على شفا جرفٍ هارٍ ، والمبدع الحق هو ذلك الذي تتميز نظرته بالشمولية . . شمولية النظرة إلى تراث أمته وتراث البشرية جمعاء . فالمتنبي مثلاً ـ مرة أخرى ـ لم يهدم شعر الذين سبقوه ، وإنّما أضاف إلى العمارة الشعرية العربية طابعاً جديداً ذا لون خاص متميز ، بيد أنّ هذا الطابق على تميزه منسجمٌ مع قوانين هندسة وبناء تلك العمارة .

وفي تاريخ تطور العلم امثلة واضحة لنسبية مفهوم الإبداع ، فتطور العلم حلقات يصل بعضها بعضاً ، وما كان لعالمٍ مبدع مثل اسحاق نيوتن ، مثلاً ، وهو مكتشف قانون الجاذبية ، أن يصل إلى اكتشافاته لولا جهود سابقيه من امثال « كوبرنيكس » و« جاليليو » ، كما أنّ عبقرية آينشتين صاحب النظرية النسبية ما كانت لتؤتي أكلها في القرن العشرين لولا جهود العلماء السابقين من أمثال إسحٰق نيوتن نفسه .

فالابداع إذا بمعنى الخلق أو الإيجاد من عدم لا يصدق إلّا على الخالق جلّ وعلا فهو بديع كل شيء ، أما الإبداع البشري فهو على أهميته ودوره الخطير في بناء الحضارة يظلّ إبداعاً نسبياً قاصراً .